

الفصل التاسع

نخبة الفاسدين الخارقين للطبيعة (٢)

انتشار الحركة :

منذ زمن العموريين ووليم كورنيلس (ص ١٦٣) من الممكن تتبع انتشار هرطقة الروح الحرة عبر مناطق واسعة من أوروبا . ويبدو أن أتباع الروح الحرة كانوا نشيطين على طول الراين الأعلى حوالي ١٢١٥ وأن بعضهم قد أحرق في ستراسبورغ ، وفي ١٢٤٠ التقى الأستاذ الباحثة الشهير البرتس ماغنوس مع بعض الأتباع في كولون ، وهناك دلائل على أنهم كانوا ناشطين في أسقفية تريير ، وفي ١٣٠٧ عقد مجمع إقليمي في كولون ، من قبل رئيس الأساقفة لهذا السبب ، وحاول تطهير المدينة من الرهبان المتسولين من البيغرد والبيغويين الذين كانوا ينشرون مذهب الروح الحرة .

و لم تكن هذه الجهود ناجحة ، و كان ما يزال لدى فرنسيسكان كولون سبب لاعتبار هؤلاء المهترطقين منافسين خطرين ، وفي تلك الأثناء كانت الروح الحرة تنتشر بشكل أعمق في الأراضي الألمانية ، ونحو ١٢٧٠ كان اثنان من نوي الرداء الأحمر يتابعان الدعوة السرية في المنطقة المحيطة بنورد نجن في فاقريا ، التي لم تكن في ذلك الوقت ناحية نائية ولكنها وقعت على طريق برذر وعلى الطريق من فرنسا إلى الشرق ، وأمكن كشف بعض من الداخلين في هذه الطائفة من الذكور والإناث واستجوابهم ، والمواد الهرطقية التي صرحوا بها قدمت إلى البرتس ماغنوس لفحصها فحص خبير وتنفيذها . ولكن الهرطقة وجدت موطنًا جديدًا ، وكان لها أن تزدهر زمانًا طويلًا في المدن البافارية .

وفي مطلع القرن الرابع عشر وجدت أيضا موطنا في شمال فرنسا ، وكانت عاملة بيغوينية من هينوت Hainaut تدعى مرغريت بوريت تذرهما في أسقفيات كامبراي ، وشالون وباريس .

وكتبت بحثا في الصوفية الدينية باسم « مرآة الأرواح البسيطة » وقد أعيد اكتشافه الآن من قبل الأستاذ غاريزيري وكان الكتاب قد أدين في ذلك الوقت من قبل أسقف كامبراي ، وأحرق علنا في فلانسيين ، ولكن مرغريت أنتجت نسخة أخرى ، على الرغم من تحذيرات عديدة ، وأصرت على إظهارها « للبيغرد والشعب البسيط الآخر » ، وقد عاشت حياة هائمة مفلسة ، يصحبها واحد من البيغرد الذي اعتقد أنه مرسوم من السماء « كملك حارس » للفقراء الطوعيين ، وفي النهاية سقط الاثنان في أيدي (ص ١٦٤) المحققين في باريس ، وخلال ثمانية عشر شهرا من السجن رفضت مرغريت بإصرار أن تشتري المغفرة بالارتداد ، وفي ١٣٠٠ أدين كتابها من قبل لجنة من اللاهوتيين ، وتم حرمانها وحكم عليها بالموت بالحرق ، ويبدو أنه كان لهذه المرأة اتباع كثيرون ، إذ أنه بعد بضع شهور من موتها كان كليمنت الخامس يأمر بمتابعة التحقيق في لانغرس بقوة ضد المهترقين الذين كانوا يتكاثرون هناك بسرعة ، حتى أنهم قد أصبحوا خطرا كبيرا على العقيدة ، وقد أدخل كتابها حتى إلى إنكلترا من قبل أحدهم مع أثاث فيليبيا من هينوت عندما وصلت كعروس لادوارد الثالث ، وذلك في سنة ١٣٢٧ ، وفي هذا برهان جديد على التأثير الذي مارسه الروح الحرة في الطبقات العليا من المجتمع .

وفي الوقت الذي أهدمت فيه مرغريت كانت الروح الحرة تسبب قلقا خطيرا للكنيسة ، ففي المجمع المسكوني برئاسة كليمنت الخامس في فيينا على الرون في ١٢١١ - ١٢ جرى فحص طويل ودقيق « لأخطاء البيغرد » ، وكان أحد المصادر الرئيسية كما نذكر الآن ، كتاب مرغريت « مرآة الأرواح البسيطة » وتم في عرض الحثيات تحليل مذهب الروح الحرة وأدين ، وقد أعطيت تعليمات

للساقفة والمحققين بمراقبة حياة ومناقشات البيغرد والبيغويين وأن تتخذ الاجراءات ضد كل واحد ممن يتبين أنه يعتنق أفكار غير اصولية ، وقد اردفت هذه التعليمات بمرسوم بابوي آخر استهدف ضمان أن كل البيغويين سيعيشون في المستقبل في مجتمعات تحت رقابة اكليروسية مناسبة ، وكان هذا على أي حال مرسوماً بالغ التشويش ، وكان من أحد أثاره بدء اضطهاد جماعات البيغويين الاصوليين المسلمين ، ولم يمض وقت طويل حتى كان البابا نفسه يحاول جاهداً دون طائل ، حماية النساء الفاضلات الكثيرات في مدن الراين اللواتي اجبرن على المعاناة للتخلي عن أخوة الروح الحرة ، وقدر للتشويش والاضطهاد أن يستمر لأكثر من قرن .

وبالطبع اضطهد أيضاً البيغرد والبيغويين الذين كانوا حقاً أخوة للروح الحرة . وفي ١٣١٧ شكل أسقف ستراسبورغ ، وقد تسلم شكاوى عديدة حول الهرطقة ، في أسقفية لجنة تحقيق ، وكان بسرعة قادراً على إرسال رسالة رعوية لاكليروسه مبنية على ما تكشف عنه التحقيق كان مما جاء فيها إن : « أخوة وأخوات الروح الحرة الصغار - وكان الشائع تسميتهم بيغرد وسويسرون ، أو خبز في سبيل الله - ممنوعون تحت طائلة :

الحرمان من ارتداء ، حللهم الغربية ، والناس ممنوعون أيضاً تحت طائلة الحرمان ، من التصديق على أحد يرتدي مثل هذه الملابس . واعلن عن مصادرة البيوت التي تجري فيها اجتماعات الهرطقة ، لصالح الفقراء ، ويجب تسليم ادبيات الهرطقة (ص ١٦٥) والتخلي عن صيحة الاستجداء « الخبز في سبيل الله » وعمل الاسقف كل ما يمكن لضمان تنفيذ هذه التعليمات ، وقام بزيارات تفقدية لاسقفية ، وبماكتشاه علامات دالة على الهرطقة في كل مكان ، نظم اول تحقيق اسقفي منظم على التراب الالماني ، وقد اضطهد هذا التحقيق المهرطقين دون رحمة ، وهرب بعض البيغرد الى الاسقفيات المجاورة ، ولكن حتى هناك كان اسقف ستراسبورغ

يلاحقهم ، وكتب الى زملائه الاساقفة في مقر اسقفية مينز يحذرهم

من الخطر الذي يهدد اسقفياتهم وحثهم على الاقتداء به وحثوه ، ومع ذلك لم يكن الرجل متعصبا اعمى ، اذ انه كتب ايضا الى البابا لصالح هؤلاء البيغويين الذين كانوا يضطهدون بشكل ظالم وغير شرعي .

وجرى الهجوم التالي على اخوة الروح الحرة في مقاطعتهم التقليدية ، كولون ، ودعا الاسقف عدوهم القديم - وهو الاسقف نفسه الذي دعا الى المجمع الاقليمي في ١٢٠٧ - مجمعا اخر في ١٢٢٢ للتعامل مع الدعوة المستمرة ، وكانت الحركة في ذلك الوقت قد اصبحت سرية ، ووجد المهراطيون في كولون قائدا مرموقا في شخص وولتر ، الذي جاء من هولندا ، والذي كان بالفعل ناشطا كمبشر في مينز ، وكان هذا الرجل واعظا عظيم البلاغة والقدرة على الاقناع ، ووضع رسائل مختلفة بالالمانية تم تداولها سرا بين اتباعه ، وضبط اخيرا ، وبرفضه تحت أسوأ انواع التعذيب خيانة جماعته او الارتداد تم احراقه ، وطبقا لاحد المصادر كان وولتر كاهنا مرتدا ، ورئيسا لمجموعة سرية كبيرة اعتقلت بحيلة في ١٢٢٥ او ١٢٢٧ . ويقال إنه نحو من خمسين من اخوة الروح الحرة قد اعدموا في تلك المناسبة ، بعضهم بالحرق وبعضهم الاخر بالاغراق في الراين .

وعلى الرغم من كل الاضطهاد استمرت الروح الحرة في كولون وعلى طول الراين ؛ وفي ١٢٣٥ اكتشف ان طائفة من البيغورد المهراطيين كانت تعيش في بيت من بيوت الفقير الاختياري في كولون منذ نحو ثلاثين سنة او اكثر ، وفي ١٢٣٠ قبض على ثلاثة من البيغورد المهراطيين في كوندستانس بعد حياة امضوها في تلقين النساء المعارف التقليدية للروح الحرة ، وفي سنة ١٣٥٣ كان البابا انوسنت السادس متيقظا جدا ، ضد خطر تجدد نشاط البيغورد المهراطيين ، حتى انه عين اول محقق بابوي في المانيا وأمر السلطات المدنية بمساعدة ذلك الرجل وأن يضربوا سجونهم تحت تصرفه ، وفي ١٣٥٦ اعتقل احد الاتباع وكان قد جاء من بافاريا

الى وادي الراين لتلقين مبادئ الروح الحرة ، واحرق في سببير ، وبعد عام كان رئيس اساقفة كولون يشكو مرة اخرى من ان المهرطقين كانوا كثيرين جدا حتى انهم افسدوا كل قطيعه ، وفي العقد الاخير من القرن ، نجح منشق طائفي هام هو نيكولاس من بازل في كسب اتباع تقريبا على كامل طول الراين من كونسطنانس الى كولون (ص ١٦٦) ، واحرق اتباع له في هيدلبـرغ وكولون ، وهو نفسه بعد ان احبط مبرار جهود المحققين لادانته قبض عليه في فيينا واحرق ، ولكن الروح الحرة بقيت في الراين ، واحرق احد الاتباع في مينز في ١٤٥٨ ، وفي السنوات الاخيرة من القرن كان الكاتب والشاعر الهجاء سببستيان برانت من ستراسبورغ ما يزال يكتب عن الهرطقة كظاهرة مألوفة .

وفي بافاريا ايضا كان للهرطقة التي ظهرت اولاً في ١٢٧٠ تاريخ طويل ، ففي حوالي ١٣٣٠ ، يبدو انها قد رحلت عبر بافاريا ووصلت الى حدود مملكة بوهيميا ودوقية النمسا ، ومع منتصف القرن كان مبشرو الروح الحرة نشطين جدا بين جماعات البيغويين البافاريين ، وفي ١٣٤٢ اكتشفت جمعية سرية للبيغرد المهرطقين في اسقفية وورزبرغ وفي ١٣٧٧ كان ما يزال هناك سبب للشكوى من تفشي المعتقدات المتصلة بالروح الحرة ، وبعد ذلك بأربعة سنوات قبض على أحد أخوة الروح الحرة وحوكم في اسقفية ايسستات Eichstatt المجاورة ، وفي نحو ١٤٠٠ قدم محقق تقريراً عن وجود بعض أخوة الروح الحرة ، كانوا يعيشون في مجتمع فقير طوعي في شام قرب ريجنسبرغ ، وعلى مدى القرن الخامس عشر يبدو أن الروح الحرة كانت باقية في بافاريا ، وفي منتصف القرن كان مجمع في وورزبرغ يكرر الحظر القديم على البيغرد الواعظين المتجولين ، وكان اسقف ايسستات يعلن حرمان البيغرد المهرطقين الذين كانوا يتسولون في الطرقات عبر البلاد ، وما برح مثل هذا الحظر يتكرر حتى نهاية القرن .

والمراحل التي تسللت بها الروح الحرة الى الشرق عبر

الامبراطور ، وكانت جهود هذا الرجل مركزة على وسط المانيا ، وسارع بعد ذلك فاعتقل مجموعة تألفت من أكثر من أربعين مهرطقا ، ذكورا وإناثا في نوردهوزن ويبدو أن كونراد شمد كان بين السبعة الذين أحرقتهم ، وسرعان ما أصبحت ايرفورت وماغديبرغ نظيفتين من المهرطقين البيغرد والبيغريين ، ولكن عندما أعلن الامبراطور أن كيرلانجر قد قضى على كل الهرطقة في وسط المانيا كان مفرطا في التفاؤل ، وكما رأينا ، بقيت طائفة سرية من اللطامين هناك مدة قرن آخر ، ويصعب اعتبارها مصادفة أنه في وقت متأخر الى عام ١٥٥١ كانت طائفة تدعى « أصدقاء الدم » أبدت كل المميزات الأساسية للروح الحرة ، قد اكتشفت في اطار ثلاثين ميلا من ايرفورت .

وفي عام ١٣٧٢ لاحظ خليفة أوربان غريغوري الحادي عشر أن المهرطقين الذين هربوا من وسط المانيا كانوا يتخذون ملاذا لهم في وادي الراين والبلاد المنخفضة وفي الشمال الأقصى من المانيا ، وقد حث الامبراطور على ضمان تعاون السلطات المدنية في تلك المناطق مع المحققين في تعقب آثار الأبقين ، ويبدو أن الروح الحرة كانت في الواقع قد بلغت شمال المانيا بنهاية القرن الرابع عشر ، وفي ١٤٠٢ أحرق اثنان من الحواريين في مدينتي الهندسا

Hansa لبيك Lubeck وويسمار
Wismar وإذا كان لا يعرف شيء آخر عن أخوة الروح

الحرة في مدن البلطيق سواء بسبب أنها كانت حقيقة قليلة أو لأن التحقيق ندر أن لاحقهم الى هذا الحد فإنه من المؤكد أنها في البلاد المنخفضة بقيت عديدة ، وفي أواخر القرن الرابع عشر كانت هولندا تعتبر الى جانب (ص ١٦٨) برابنت Brabant ووادي الراين كمنطقة غرزت فيها الهرطقة جذورا عميقة ، وعندما أسس

الواعظ جيرهارد غروت الطائفة الدينية غير الرهبانية لأخوة الحياة العادية - التي سمعطيها توماس - كيمبس البريق العظيم والشهرة الكبيرة - كان أحد أهدافه ان يؤمن مخرجا ضمن حدود

الأصولية للاحتياطات التي كانت تلتزمها الاشماع في مجتمعات هرطقة الروح الحرة .

وفي برابنت رأى الصوفي الشهير روزبروك « المعجب » الكثير من أخوة الروح الحرة ، وكسبت امرأة تدعى هليويش بلومارت (شهرة باسم بلوماردين) كانت ابنة تاجر غني ، احتراما ونفوذاً في بروكسل كقديسة حية ، ويبدو ان اتباعها امتدوا مسابين الدوائر العليا للارستقراطية وعامة الناس ، ويقال انها عندما ماتت في ١٣٣٥ ، قبل كرسي فصي كانت قد اعتادت الجلوس عليه كأثر مقدس من قبل دوقة ، في حين كانت حشود من المقعدين تأتي لتلمس جسدها أملاً في معجزة الشفاء ، ولقد كانت بلوماردين تعلم نوعاً من المذهب الصوفي، وحتى لو لم يعادل هذا في الأصل اظهاراً للروح الحرة أصبح كذلك في ايدي حواريينها بعد موتها ، وقد ألهم النضال ضد هؤلاء الناس روزبرو كتاباته الأولى ، بين ١٣٣٥ ، ١٣٤٠ . وبينها رائعة « الزواج الروحي » وقد استمر في مهاجمة أخوة الروح الحرة في كتاب بعد الآخر حتى وفاته في ١٣٨١ عن عمر بلغ ٨٨ سنة ، و الروايات حول المهرطقين الصوفيين التي قدمها هذا الصوفي هي بين الأكثر تفصيلاً و تغلغلاً مما هو لدينا .

وقد استمرت بروكسل في ايواء أخوة الروح الحرة ، وفي ١٤١٠ عين اسقف كامبراي محققين اثنين لمحو ما كان لا يزال يدعى « بهرطقة بلوماردين » ولكنهما وجدا نفسيهما بلا حول في وجه الحماس الشعبي ، ولقد كانت الاغاني تنشد خلفهم في الشوارع وحتى انه جرت محاولات ضد حياتيهما ، ومع ذلك كانا قادرين على كشف مجموعة مهرطقة خاصة ، وفي ١٤١١ فحص الاسقف راهبا يدعى وليم أوف هيلدرنيس كان يشك في كونه احد قادتها . وكان رجلاً من مولد نبيل كانت له مهنة ناجحة كمحاضر في اللاهوت في وادي الراين والبلاد المنخفضة ، وكان مرتين رئيس دير رهبنة ، ولم تكن درجة اشتراكه في الجريمة واضحة وقد حكم عليه فقط ببضع سنوات من التكفير والسجن الانفرادي ، وكشف

التحقيق عن وجود طائفة سرية تدعو نفسها
Homines intelligentiae ومعنى *Intelligentia* في
اصطلاحات العصور الوسطى « الملاكات العليا للروح » التي تجعل
الذشوة الصوفية ممكنة ، وقد أسست الطائفة نتيجة لوحى تلقاه
شخص موثوق هو ايجيد يوس لويف او سانغرز (باللاتينية
كانتور) (ص ١٦٨) اي قائد جوقة الترتيل ، وكان رجلا من العامة
تحرر من عائلة فلمنكية بارزة ، وكان متوفيا بالفعل في وقت قيام
التحقيق ، وكانت طائفة « الملاكات العليا للروح البشرية » تضم
عددا من النساء ، والشئ الهام ان وليم اضطر الى القيام بارتداد
عني في حي من بروكسل يسكنه البغويين .

ولا يمكن فصل أنشطة أخوة الروح الحرة في البلاد المنخفضة عن
نشاطاتها في وادي الراين ، فكما رأينا جاب البيغرد زهايا وايابا
عبر المنطقة كلها، وحدث الشئ نفسه بين البلاد المنخفضة وشمال
فرنسا ، وفي ١٣٦٥ رأى البابا اوريان الخامس انه من الضروري
التحدث على أنشطة البيغرد الفرنسيين ، وقد حذر الأساقفة
والمحققين من ان هؤلاء الرجال كانوا مايزالون تحت قناع من
القدسية ينشرون اخطاءهم بين الناس البسطاء ، وقد زود اسقف
باريس بتفاصيل كاملة حول طريقتهم في الحياة والاماكن التي
وجدوا فيها ، وفي ١٣٧٢ قبض على مهرطقين كانوا ذكورا وإناثا
ممن دعوا انفسهم « مجتمع الفقراء » ولكن ممن يحتمل انهم نبذوا
بلقب التورلوبين في باريس . وكانت زعيمتهم ايضا امرأة اسمها
جين دابيدتون ، وقد احترقت وكذلك احترقت جثة مساعدها
الذكر ، الذي مات في السجن وكذلك الكتابات والملابس الغربية
لاتباعها ، ولاشي يعرف عن تعاليم هذه المجموعة ولكن اسم
تورلوبين كان عادة يعطى فقط لأخوة الروح الحرة ، وبالتأكيد
كانت الروح الحرة تجتذب الانتباه في شمال فرنسا في نهاية القرن
الرابع عشر وبداية القرن الخامس عشر ، وكان شارلييه دي
غرسون رئيس جامعة باريس مؤهلا بشكل جيد لأن يكون قاضيا
لأنه جمع بين الذكاء العظيم والخبرة الواسعة مع تعاطف شديد

مع الصوفية ، وفي سلسلة كاملة من الأعمال التي كتبت بين ١٣٩٥ و ١٤٢٥ تفحص جيرسون ثم ادان الصوفية الزائفة للتورلوبيين والبيغرد والبيغويين الذين اعتنقوا هرطقة « روح الحرية » والمعتقدات والعبادات التي نسبتها الى المهـرطقين الفرذسيين غير قابلة للتمييز عما وجد لدى نظرائهم الألمان ، وفي الواقع كان من ليل وتورناي ان حملت فرقة من أربعين متحمسا في ١٤١٨ عقائد مذهب الروح الحرة مباشرة عبر أوروبا ، لادخالها الى بوهيميا التي كانت على شفا الثورة والحرب الأهلية الأمر الذي سدرس نتائجـه في فصل لاحق .

وبعد قرن ، وهي وسط الهياج الاصلاحي شهدت البلاد المنخفضة وشمال فرنسا انتشار مذهب كان يدعى « الحرية الروحية » ولكن في كل اساسياتها كانت ماتزال المبدأ القديم نفسه للروح الحرة ، ومرعبا بالدرجة نفسها بالنسبة للمصلحين كما كانت للخصوم الكاثوليك ، وفي ١٥٢٥ أرسلت لوي برويستك وكانت شابة متسكعة لاتحسن القراءة والكتابة ولكن (ص ١٧٠) وجد لها اتباع بين الحرفيين ، والحرفيين المبتدئين مثل مساعدي النساجين وبائعي الجوارب ، أرسلت اذنين الى ويتنبرغ للالتقاء بمارتن روش لوثر ، وكانت هذه هي السنة نفسها التي كانت فيها حرب الفلاحين تهز كل بنيان المجتمع الألماني، وكان لوثر نفسه متأثرا ضد المتنبئ الالفى للفلاحين ، توماس مونتز وكان لوثر متأثرا بدرجة كافية ومصدوما من زائريه الى حد انه ارسل رسالة الى الحزب اللوثيري في انتويرب ، يحذرهم ضد النبسي الزائف في اوساطهم ، ولكن اذا كان تحذير لوثر ويقظة التحقيق الكاثوليكي معا قد اعاقا نمو الحركة ، فانهما لم يتمكنوا بشكل دائم من منعها ، وأدى تفجر خطير للطاعون في انتويرب في ١٥٣٠ الى ظهور كثير من الحواريين الجدد ، وكان مقام بروستك بين الفقراء كبير لدرجة انه يقال انهم كانوا (يخرون راكعين عند اقترابه) وكانت الطائفة تضم العديد من حواشي المجتمع الفرذسي لصوص عاهرات متسولين ، بيد ان تجارا اغنياء وحتى جواهرى الملك الفرذسي

فرانسس الاول كان يمكن العثور عليهم بين الاتباع الذين يسهمون في التمويل ، وكل هؤلاء الناس ايا كان نوع منزلتهم الاجتماعية كان يتوقع منهم المواخاة واحتضان بعضهم بعضا في العلن ، وفي حين قام بروسنتك نفسه وكأنه يحاول ان يرمز في آن واحد الى موهبته في الفقر والى ادعائه هيبه عليا ، قام بارتداء اثواب مقطعة الى خرق ولكنها ايضا مخيطة بالجواهر وانتشرت الطائفية بشكل واسع ليس فقط في انتويرب بل في كل انحاء سراينت وفلاندرز في الوقت الذي كانت فيه السلطات المدنية في ١٥٤٤ تستعد لسحقها ، وفي النهاية احرق بروسنتك حتى الموت على نار هادئة وقطعت رؤوس خمسة من اتباعه بينما هرب آخرون الى انكلترا .

واذا كان القليل المعروف عن مذهب بروسنتك يكاد يؤكد بصعوبة اتهامات التحلل وعدم الالتزام بالشريعة التي وجهت ضده وضد اتباعه ، فان طائفة الكوينتينيون كما يبدو قد ورثت كل الفوضوية في اخوة العصور الوسطى لدى الروح الحرة ، وامتدت رسالة الخياط كوينتين Quintin التي اوجدها تقريبا بالضبط في خلال الفترة نفسها لرسالة بروسنتك ، وكان مواطنا من هينوت وسمع عنه ايضا للمرة الاولى في ١٥٢٥ في ليل بعد ذلك بعقد ، ومع خياط آخر وكاهن مرتد انتقل الى باريس ، وهناك وجد كالفرن Calvin هؤلاء الكوينتينيون او « العتقاء الروحانيين » كما دعاهم ، يعملون بين اتباع الديانة المستصلحة واشتدك في نزاع علني ، وفي ١٥٣٩ شجبهم في النسخة المعدلة من كتابه « مؤسسات الديانة المسيحية » وفي الوقت نفسه قام المصلح الألماني بوسر Bucer وقد التقى بالعتقاء الروحانيين .

وفي ستراسبوغ واطلع على دعوتهم السرية فكتب الى الملكة مرغريت أوف نافار التي كانت مهتمة جدا بالصوفية - يحذرهما ان لاتنخدع بهؤلاء الناس وكان التحذير في محله ، اذ انه في ١٥٤٣ تدبر كوينتين وثلاثة من رفاقه في الواقع لانفسهم اماكن بين الخدم المنزليين في حاشية الملكة حيث قبلوهم (ص ١٧١) كصوفية

مسيحيين وبعد ذلك بعامين كان كالفن نفسه يكتب الى مرغريت لينورها حول الطبيعة الحقيقية للملتجئين اليها وكان كوينتين على الاقل على ما يبدو قد صرف من البلاط لأنه في ١٥٤٧ كان قد عاد الى موطنه وكنتيجة لمحاولة اغواء من السيدات المحترمات في تورناي اكتشف واحرق .

وفي الوقت نفسه كانت الدعوة التي كان كوينتين وحواريوه يقومون بها بوسائل الوعظ السري والنشرات قد حولت العديد في تورناي وفالذسيين الى مذهبه وقد قدر كالفن عددهم بنحو عشرة الاف ، ولجابهة هذه النشاطات ارسلت الطائفة البروتستنتية الفرنسية في ستراسبورغ احد كهنتها الى تورناي حيث قبض عليه على اي حال من قبل السلطات الكاثوليكية واحرق ، وماكان اكثر فعالية هو الهجوم الذي استمر كالفن في ممارسته ضد الطائفة وفي ١٥٤٥ اصدر رسالته « ضد الطائفة الخيالية والساخطة للعتقاء التي تسمى نفسها روحانية » .

وفي ١٥٥٠ عندما كتب احد الفرنسيين سكان السالفين بعد ان اصبح لاجئا لدى السيدات من نوات السلطة في روان Rouen دفاعا عن الطائفة ومعتقداتها ، كتب كل من كالفن ومعاونه فارل Farel رسائل جوابية ، واخذت هذه الهرطقة في حينه - او انها على الاقل اصبحت سرية - في تلك المناطق التي كانت لزمان طويل معقلا لها ، وحدث ذلك في الوقت ذاته والتاريخ الذي انهارت فيه نهائيا في المعازل الكبيرة الاخرى في وسط المانيا .

ولعل ماتم عرضه حتى الآن يكفي لتبيان ان ديانة الروح الحرة قد امتدت فوق منطقة واسعة جدا ، ولكن هذه ليست القصة كلها ، فلأسباب المدينة في المقدمة ، لم يتم تناول جنوب اوروبة الا بالكاد في هذا الكتاب ، ولكن الروح الحرة في الواقع قد ازدهرت في ازمان مختلفة في كل من ايطاليا واسبانيا ، وفي ١٣٠٧ ، في الوقت نفسه الذي كانت فيه مرغريت بويريت نشطة في شمال فرنسا ، كان

رجلا يدعى بيتيفينغا دا غيبو ، يدعو الى معتقد جديد بين الراهبات في امبريا بل انه حتى حاول ان يدخل القديس كلارو مونتفالو في مذهب الروح الحرة - او كما كان يسمى في ايطاليا - روح الحرية وفيما بعد في القرن الرابع عشر كانت هنالك اشعارات الى ان الهرطقة كانت مزدهرة في امبريا وتوسكانيا وغالبسا كما في الشمال ، الى جانب ديانة الفقر الطوعي ، ومع حلول ١٣٤٠ كانت ترجمات ايطالية ولائذنية لكتاب مزغريت بورتيت يجرى تداولها في ايطاليا ، وقد حذر القديس برنارد ينو اوف سينييا . Siena

منها في حين انه في بادوا كانت السلطات الاكليروسية تجهد لمنع وقوعها في ايدي الرهبان وفي القرن التالي بينما كان كالفن يقاتل ضد العتقاء الروحانيين في فرنسا ، كانت مذاهب شبيهة جدا تزدهر في اسبانيا ، بين الصوفية المعروفين باسم الامبرادوز .

(ص ١٧٢) وتتبع هذه التطورات الى مدى ابعد خارج مجال هذا الكتاب ، ومن جانب آخر ان عودة الظهور القصير للروح الحرة في انكلترا كرومل Cromwell يمكن دراسته بالتفصيل في الوثائق الواردة في الملحق .

طريقة تأليه الذات

لم يشكل اتباع الروح الحرة كنيسة واحدة بل عددا من المجموعات ذات الافكار المتماثلة لكل منها ممارساتها الخاصة وطقوسها وجوانب معتقداتها ، و غالبسا ماكانت الروابط بين المجموعات المختلفة ضعيفة جدا ، لكن هؤلاء الناس استمروا على صلة مامع بعضهم بعضا وكانت الروح الحرة في كل الأزمان مميزة كديانة - ظاهرة ذات جسم مذهبي اساسي واحد يسلم من جيل الى جيل ، وكان في القرن الرابع عشر ان ظهر هذا المذهب بمظهره الكامل ، والملامح التي ابداهها في حينه كان لها ان تبقى دون تعديل على مدى تاريخ الحركة .

وكان مصدر الأطار الغيبي هو الأفلاطونية المحدثة ، ولكن كل الجهود التي بذلت بدءاً من ديونيسيوس الزائف واريجينا ومابعدهما ، لتكريف الأفلاطونية المحدثة مع المعتقدات المسيحية قد استبعدت ، بيد أن وحدة الوجود لدى افلوطين كانت بعيدة جداً عن أن تغفل وقد تأكدت ، ولم يتردد أخوة الروح الجديدة في القول : « الرب هو كل ما هو موجود » « الرب في كل حجر وكل طرف من الجسم البشري بالتأكيد نفسه الذي هو بالنسبة لخبز القربان المقدس « أن كل شيء مخلوق هو الهي » وفي الوقت نفسه تبذروا تفسير افلوطين لوحدة الوجود هذه ، لقد كان الرب حقاً هو الجوهر الأبدي للأشياء وليس وجودها في وقتها ، كل ما هو ذو وجود منفصل وعابر قد انبثق عن الله ، ولكنه لم يعد هو الله ومن جانب آخر أن كل ما هو موجود ملتزم بالرجوع إلى أصله الرباني ويكفد طريق العودة إلى هذا الأصل ، وفي نهاية الزمان سيكون الرب حقاً هو الكل .

وحتى في هذه الساعة إن إعادة الامتصاص هو مصير الروح البشرية حالما يموت الجسد ، وبموت الجسد تختفي الروح في أصلها الرباني مثل قطرة من الماء أخذت من إبريق ثم سقطت فيه مرة أخرى أو كقطرة من النبيذ في البحر ، ويعادل هذا المذهب بالطبع تأكيدات الانعتاق الشامل مع أنه غير شخصي ، وما هو أكثر تماسكاً وانسجاماً في أخوة الروح الحرة هو المبدأ الذي يعتبر أن الفردوس والجحيم هما مجرد حالات للروح (ص ١٧٣) في هذا العالم وأنه ليس هناك أخرة ولا ثواب ولا عقاب ، ولكي تتجسد الروح القدس في نفس المرء وتتلقى الوحي الذي يأتي به ، ذلك هو البعث من الموت وامتلاك الفردوس ، والانسان الذي يعرف الله في نفسه يحمل فردوسه الخاص معه ، وعلى المرء فقط أن يعرف ألوهيته الخاصة وأنه بعث ككائن روحي سماوي مقيم على الأرض ، وجهل المرء بألوهيته الخاصة من جانب آخر ، خطيئة مميتة ، وهو في الواقع الخطيئة الوحيدة ، وهذا هو معنى الجحيم ، وهذا أيضاً شيء يحمله المرء معه في هذه الحياة .

واعتقد أفلوطين أن الكائنات البشرية يمكنها أن تمر بمثل هذه العودة إلى الاقتصاص قبل موت الجسد ، وكان بالإمكان أن تهرب الروح من قيودها الحسية ومن وعيها بذاتها وأن تفرق لحظة ، بلا حراك ولاوعي في الواحد ، لقد كان هذا وجه الأفلاطونية المحدثة الذي راق لأخوة الروح الحرة ، ومع أن الروح الحرة كانت تقليديا تعرف « بالهرطقة الوحودية » ، أبدى العديد من المهرطقين قلة اهتمام أو عدم فهم للغيبيات الوحودية . وكان الشيء المشترك بينهم موقفا ما من الروح البشرية . « والروح » كما قالت امرأة : « واسعة حتى أن كل القديسين والملائكة لا يمكنهم ملؤها ، جميلة حتى أن القديسين والملائكة لا يمكنهم مقاربتها ، إنها تملأ كل شيء » ، ولم تكن الروح بالنسبة لأخوة الروح الحرة مجرد محكومة بإعادة امتصاصها في الرب عند موت الجسد ، بل هي في جوهرها الهية منذ الأزل وهي ما برحت الهية كامنة حتى وهي تسكن جسدا بشريا ، وفي كلمات الرسالة الهرطقية التي وجدت في صومعة الناسك قرب الراين : « إن الجوهر الالهي هو جوهرى ، وجوهرى هو الجوهر الالهي منذ الأزل كان الانسان هو الرب وفي الرب ومذ الأزل كانت روح الانسان في الله وهي الله الانسان لم يولد وكان منذ الأزل غير قابل للولادة بالمرة ، وبما أنه لا يولد ، فهو أبدي تماما ، لذا أنه في ضوء هذا يجب أن يفسر المرء التأكيد المتكرر للمهرطقين « إن كل مخلوق عاقل هو في طبيعته مبارك » .

وفي الممارسة على أي حال كان أخوة الروح الحرة بدرجة الاقتناع نفسها التي كان عليها أي واحد من أعضاء الطوائف الأخرى في أن أعلى المزايا الروحية كانت مخصصة لأخوتهم خاصة ، ولقد قسم البشرية إلى مجموعتين : الأغلبية أصحاب « الروح الخام » ، الذين أخفقوا في تطوير إمكاناتهم الالهية وأنفسهم ، ثم « الذين كانوا بارعين بالروح » ، وادعوا أن هذه الكلية ، والاقتصاص الدائم في الله الذي كان ممكنا بالنسبة للفايزين الآخرين فقط بعد الموت ، والذي سيصبح ممكنا للعموم فقط

عند نهاية الزمان يمكن بلوغه « بالروح البارعة » بالفعل ، خلال فترة حياتهم على الأرض ، (ص ١٧٤) وكان هذا أبعد بكثير مما اقترحه أفلوطين مطلقا ، ولم يكن قلب الهرطقة في الواقع فكرة فلسفية بالمرة بل طموحا ، لقد كان رغبة عاطفية لدى كائنات بشرية معينة لتجاوز حالة البشرية حتى تصبح إلهية ، والاكليروس الذين راقبوا المهترقين لم يكن لديهم شك في الأمر في أن هؤلاء الرجال والنساء - كما اشتكوا - يضعون أنفسهم فوق القديسين ، والملائكة ، والعذراء ، وحتى فوق المسيح نفسه ، « وأنهم يقولون إنهم هم الرب بالطبيعة ، دون أي تمييز » ، وتحدث عنهم أسقف ستراسبورغ بقوله : « هم يعتقدون أن كل الكمال الإلهي فيهم ، حتى أنهم أزيلون وفي الأبدية » وادعى روزبروك الذي جعل صوت عدوه الهرطقي يقول بأعلى نبرة ممكنة : بالنسبة لي كما بالنسبة للمسيح وبكل طريقة وبلا استثناء أنا مثله أنا حياة دائمة وحكمة ، ولدت من الأب بطبيعتي الإلهية ، مثله تماما ، وأيضا ولدت في الوقت المناسب ، وبطريقة ولادة الكائنات البشرية ، وعليه فأنا وهو واحد ، الرب والانسان وكل ما أعطاه له الرب أعطاه لي أيضا ، وإلى المدى نفسه وقد أرسل المسيح إلى الحياة الفعلية ليخدمني ، وحتى ليعيش ويموت من أجلي ، في حين أنني أرسلت إلى الحياة التأميلية وهي أعلى ولو أن المسيح عاش فترة أطول لتولى ممارسة حياة التأمل التي بلغتها . إن كل الفخر الذي أعطي للمسيح قد أعطي حقا لي ولكل أولئك الذين بلغوا هذه الحياة الأسمى وعندما يرفع جسمه عند المذبح أثناء تناول القربان المقدس ، أنا الذي يرفع ، وعندما يحمل جسده ، أنا الذي يحمل ، لأنني وإياه جسد واحد ودم واحد ، شخص واحد لا يمكن لأحد تجزئته .

وقد اعتبرت هذه الروايات مبالغات لاهوتية جدلية ، وهي مع ذلك بالتأكيد هادفة تماما ، وقد سجلت أمثلة من أقوال المهترقين أن العذراء والمسيح قد توقفا دون الكمال المطلوب من « الروح البارعة » واتباع الروح الحرة هم أنفسهم تركوا روايات عن خبراتهم ، وجاءت أولا فترة كان خلالها على المبتدئين أن يمارسوا

تقنيات مختلفة ، تتراوح بين نكران الذات وتعذيب الذات إلى تعهد الاستسلام المطلق واللامبالاة الموجهة لتشمل الحالة النفسانية المرغوبة ، ثم بعد تمرين قد يدوم سنوات يأتي الجزاء ، « وروح الحرية أو الروح الحرة » ، كما قال أحد الأتباع : « يتم بلوغها عندما يتحول المرء تماما إلى رب وهذا الاتحاد كامل حتى أنه لا العذراء مريم ولا الملائكة قادرين على التمييز بين الانسان والرب ، وفيه يعود المرء إلى حالته الأصلية ، قبل أن يذشق عن الألوهية ، ويستنير المرء بالضوء الأساسي الذي يكون إلى جواره كل ضوء مخلوق ظلما وتشويشا ، ويمكن أن يكون المرء حسب رغبته ، أبنا أو ابنا أو روحا (ص ١٧٥) قدسية » ، ولم تكن هذه الادعاءات بأي حال استثنائية بين أخوة الروح الحرة .

واكد واحد من ملازمي بيت الفقر الطوعي في كولون أنه كان « يتمتع كليا في الخلود » ، ومتحد مع الله حتى أن الملائكة لا يمكنهم التمييز بينه وبين الله ، وأصرت إحدى ملازمات بيت شويدنتز أنها كانت الرب إلى درجة مثلما كان الرب نفسه ربا وتاماما مثل المسيح ، لم تكن قابلة للانفصال عن الرب ، وتقول رسالة الناسك مثل هذا الشيء إلى حد كبير : « إن الرجل الكامل هو الرب ولأن مثل هذا الرجل هو الرب ، تأخذ الروح القدس كيانها الأساسي منه كما لو كان ذلك من الرب إن الرجل الكامل أكثر من رجل مخلوق لقد بلغ غاية الاتحاد الوثيق الذي بلغه المسيح مع الأب إنه الرب والانسان » ولكن رسالة الهرطقة المعروفة باسم شويستر كاتري هي التي تعطي البيان الأكمل إطلاقا فيعد سلسلة كاملة من النشوة التي « خلقت فيها روحها » ولكنها سقطت مرة أخرى ، مرت الأخت كاترين بإحدى تجارب النشوة التي حررتها تماما من حدود الوجود البشري ، وهاهي تصيح بكائن الاعتراف - وهو نفسه من الواضح أنه أحد أخوة الروح الحرة - : « ابتهج معي ، لقد أصبحت الرب ! » فيجيبها « الحمد للرب ، والآن دعي كل الناس ، وانسحبي مرة أخرى إلى وحدانيتك ، لأنك هكذا ستبقيين الرب » وتدخل المرأة في حالة وجد عميق ، تخرج منه بتأكيد : « لقد

خلدت في قدسيتي الأبدية ، لقد جعلني المسيح كفوا له ولا يمكنني أبدا
أن أفقد تلك الحالة .

ومثل هذه التجارب تختلف اختلافا كبيرا عن « وحدة الوجود
الخفية » كما كان معروفا ومقرا من قبل الكنييسة ، لأن « وحدة
الوجود الخفية » استضاءاة أذية ، تمنح فقط من حين لآخر ، وربما
مرة واحدة في العمر ، وأي طاقات يطلقها وأي ضمانات يمنحها ،
فإن الكائن البشري الذي يمر بهذه التجربة لا ينخلع بذلك من حالته
البشرية ، فقد كان عليه كإنسان فان عادي أن يمضي حياته ويعيشها
على الأرض ، وكان تابع الروح الحرة ، من جانب آخر قد شعر
بنفسه بأنه قد تحول كلية ، هو لم يكن في مجرد اتحاد مع الرب ، لقد
كان مماثلا للرب وسيبقى كذلك إلى الأبد ، وحتى هذا هو تقدير
صور الفكرة بأقل من الحقيقة ، لأن التابع كثيرا ما ادعى أنه
يبرز الرب ، وادعت النساء في شويدينتز أن ارواحها قد بلغت
بجهودهن الخاصة كمالات أعظم مما كانوا يملكونه عندما انبثقوا
للمرة الأولى عن الرب ، وأعظم مما أراد الرب لهم أن يملكوا ، لقد
ادعوا ان لهم إمرة على الثالوث المقدس حتى أنه بإمكانهم أن
« يمتطوه كما يمتطون السرج » ، وقال المهترقون السوابيون لعام
١٢٧٠ أنهم قد علوا فوق الرب ببلوغهم قيمة عالية جدا من
الالوهية وتحرروا من قيود الرب ، وكثيرا ما كان التابع يؤكد أنه أو
انها « لم يعد في حاجة للرب » (ص ١٧٦)

وطبيعي بدرجة كافية ، أن بلوغ الالوهية يوحى بحيازة قوى
هائلة لصنع المعجزات ، واعتقد بعض أخوة الروح الحرة أنهم
تسلموا أنعام النبوة ، وأنهم عرفوا كل شيء في السماء والأرض
وأنهم يمكن أن يقوموا بالخوارق بحيث يسيرون على الماء دون أن
تبتل أقدامهم ، ويسيرون على ارتفاع ياردة فوق الأرض .

ولكن بالنسبة لمعظمهم كانت مثل هذه الادعاءات تسافهة ، لأنهم
شعروا بأنفسهم بأنهم كاملي القدرة بشكل واقعي تماما ، وقال

أسقف ستراسبورغ وقد تملكه العجب . « إنهم يقولون أنهم خلقوا كل شيء وأنهم خلقوا أكثر من الرب » وجعل الصوفي روزبروك خصمه المهترق يتحدث كما يلي :

«عندما حللت في كياني الاصلى وفي جوهرها السرمدي لم يكن بي رب ، ما كنته اردت أن أكونه ، وما اردت أن أكونه كنته ، لقد كان بارادتي الحرة أنني خرجت وأصبحت على ما أنا عليه ، فاذا شئت لما كان بي حاجة أن أصبح أي شئت ولما كنت مخلوقا الان ، لان الرب يمكن ان يعرف ، ويريد ولايفعل شيئا بدوني ، ومع الرب خلقت نفسي وخلقت كل شيء ، إنها يدي هي التي تدعم السماء والارض وكل المخلوقات...وبدونى لوجود لشيء » .

ومرة اخرى إن اي شكوك ربما يشعر بها المرء حول هذه الروايات يبدها المهترقون انفسهم ، « عندما خلق الله كل شيء خلقت كل شيء معه....أنا اكثر من الرب » هكذا قالت امرأة في شويدينز وتلخص رسالة الناسك في عبارة واحدة اندماج الحتمية الفعالة بحتمية القوى الخلاقة :

« الرجل الكامل هو سبب الثبات » .

مذهب الفوضوية الصوفية

من وجهة نظر علم نفس الاعماق ، يمكن القول ان كل الصوفية يبدأون مغامرتهم النفسية بانطواء عميق على الذات ، ومن خلال ذلك يعيشون كبالغين اعادة تنشيط لتخيلات الطفولة المشوهة ، وبعد ذلك على اي حال هناك مسلكان ممكنان : يمكن أن يحدث أن يخرج الصوفي من تجربته او تجربتها للانطواء على الذات - كمريض يخرج من تحليل نفسي ناجح - كمشخصية اكثر تعاملًا ، مع مجال متسع من التعاطف يكون اكثر تحررا من الوهم حول نفسه وحول ابناء جلده من بني البشر ، ولكن يمكن ايضا ان يحدث ان يشرب الصوفي الصور الابوية العملاقة بقوتها ، وبمظاهر شديدة مغامرة

وبهيجة ، او يخرج كعدمي متحلل مصاب بجنون العظمة ، وكانت هذه الحالة الاخيرة ، هي حالة كثير من اتباع الروح الحرة .

وفي هذا الربط انه مما ينور القاء لمحة على الشخصية الغربية لجان انطوان بولان (١٨٢٤ - ١٨٩٣) الذي اسس طائفة يقال إنه كان لها في وقت ما نحو ٦٠٠٠ ر ٦٠٠ من الاعضاء ، ولاسيما في أوروبا الشرقية ، وقد اعتبر هذا الرجل نفسه « سيف الله » وانه مكلف بمهمة تطهير الارض من (ص ١٧٧) الدنس ومن كنيسة روما ، وانقاذ البشرية في الايام الاخيرة ، وقد اصدر احكاما غاضبة على الاكليروس ، الذين اعتبرهم مضطهدون له ، وحدث انه هو نفسه كان مندفعاً في سلوكه الجنسي ، وكان يعلم اتباعه ممارسة « الزواج الصوفي » ، الذي كان يمكنهم من الانغماس في الفسق الجنسي دون « خطيئة اصلية » . وكان له نوق عظيم في الحياة المترفة ، ومن اجل الحصول على المال كان يخدع السذج بوسائل الوحي المفترض انه خارق للطبيعة ، وفي الوقت نفسه كان يوزع كثيراً من المال الذي كان يحصل عليه مرة ثانية على الفقراء ، وفي كل افعاله كان يتصرف كتابع متأخر نمونجي للروح الحرة ، وتظهر الدراسات النفسية وتحليل خطوط (بوصفها معبرة عن شخصية الكاتب) بولان ، المنشورة في ١٩٤٨ ، انه كان مريضاً نمونجياً بجنون الاضطهاد والارتياب والعظمة واستحوذت عليه اوهام العظمة والاضطهاد ، وكان ايضا نكيا ، مغامرا ملينا بالحوية والمبادرة ، شخصيته مدفوعة برغبات غير مستقرة فزعة ، لاشباعها يستخدم ادق التقنيات للخداع احيانا ، وحيانا اخرى القسوة ، التي تطأ تحت الاقدام كل من هو اضعف منه . انه تفسير يوافق تماما كل ما نعرفه عن اخوة الروح الحرة في القرون الوسطى وخلفائهم الاحرار الروحيين .

وفي صورة وصفية ادبية معبرة كتبت نحو ١٣٣٠ في المعقل الرئيسي للهرطقة في كولون ، اورد الصوفي الكاثوليكي سوزو بشكل محكم ومصقول تلك الصفات التي في الروح

الخرة والتي جعلتها فوضوية بشكل أساسي ، ووصف كيف انه في يوم احد مشرق ، بينما كان يجلس تائها في التأمل ظهرت في روحه صورة معنوية .

وخاطب سوزو الصورة : من اين اتيت ؟ واجابته الصورة « اتيت من لا مكان » اخبرني من انت ؟ - « أنا لا » - ماذا تريدان ؟ - « لا أريد » - هذه معجزة! اخبرني ما هو اسمك ؟ - أنا ادعى القفار التي لا اسم لها ! الى اين يقودك تبصرك ؟ - الى حرية غير مقيدة .

اخبريني ، ماذا تسمين الحرية غير المقيدة ؟ « عندما يعيش رجل وفق هواه دون تمييز بين الرب وبين نفسه ، وبدون النظر قبل او بعد...»

وما ميز اتباع الروح الحرة عن كل اتباع الطوائف الأخرى في العصور الوسطى هو بالضبط عدم أخلاقياتهم ، وبالنسبة لهم كان برهان الخلاص عدم معرفة شيء ، عن الضمير أو الندم ، وتشهد أقوالهم التي لا حصر لها على موقفهم : « كل من ينسب الى نفسه أي شيء يفعله ولا ينسبه كله الى الرب جاهل ، وهذا هو الجحيم ، ... ولا شيء في عمل انسان هو من عمله نفسه » ومرة أخرى ، « إن الذي يعرف أن الرب يفعل كل شيء فيه لن يخطيء ، لأنه يجب أن لا ينسب لنفسه بل للرب كل ما يفعله » - « إن الرجل ذا الضمير هو نفسه شيطان وجحيم وحاله عذاب تعذب نفسه . إن الحر في روحه يهرب من هذه الأشياء » - « ولا خطيئة (ص ١٧٨) الا ما يعتقد أنه خطيئة » - « وهكذا يكون المرء متحدا مع الرب حتى أنه أيما فعل انه لا يخطيء » - « أنا أنتمي الى حرية الطبيعة ، وكل ما ترغب فيه طبيعتي أشبعه ... أنا رجل طبيعي » - « الانسان الحر مصيب تماما في فعل كل ما يعطيه السرور » إن هذه أقوال نموذجية ومضامينها لا يمكن أن تخطئها ، و شعر أن كل عمل كان يقوم به

عضو من هذه النخبة بأنه « لا يقع في وقته بل في الأبدية » وله دلالة صوفية كبيرة وقيمته بلا حدود ، وكانت هذه هي الحكمة السرية التي كشف عنها أحد الاتباع لأحد المحققين الذي كان متحيزا نوعا ما ، مع التأكيد بأنها « كانت مستمدة من الأعماق الداخلية للمتأهة الالهية » وقيمتها أكبر بكثير من كل الذهب الذي في خزانة ايرفورت ، وأضاف « إنه من الأفضل ، أن يدمر العالم كله أو يهلك تماما من أن يمنع رجل حر من القيام بعمل تدفعه طبيعته الى القيام به »

وبعد اثنين وعشرين عاما من التكفير تسلم هنريش سوزو أمرا من الرب بأن يتخلى عن سوطه و عن كل أدوات التعذيب و أن يتخلى عن الزهد الى الأبد ، وكان التابع الجديد للروح الحرة يمضي إلى أبعد من ذلك بكثير ، حيث يولد من جديد في حالة يتوقف فيها الضمير عن العمل وتبطل الخطيئة ، ويشعر كاستقراطي يتمتع بمزايا لا حدود لها ، و القوة التي استهلكت في تمارين الزهد التي يؤديها المتدرب على الرهينة يجب أن تستعاد الآن ، إن أيام المراقبة قد انتهت ، وأصبح له الحق أن ينام في فراش وثير ، ولم يعد هناك مزيد من الصيام ، ومن الآن فصاعدا يجب تغذية البدن على أفضل اللحوم والأنبذة ، وأن يحتفل كان ذا قيمة روحية أعظم من الاشتراك في تناول القربان المقدس ، وإن كأسا ذهبية الآن هدية مناسبة أكثر من كسرة خبز ، وتغير المظهر الخارجي والوقفة لدى المهترئين أيضا ، وأحيانا كانت تبقى قلنسوة البيغرد أو البيغويين مهترئة ، ولكن لم يعد يسمع عن الملابس القليلة أو المرقعة ، وكان الاتباع في شويتنز يمتعون أنفسهم بأي ملابس تكون المبتدئة قد جاءت بها معها ويلبسون الملابس الناعمة تحت أريدتهم ذات القلائس ، وما أن أصبحت الأخت كاترين « ربة » أعلمها الكاهن الذي تلقى اعترافاتها أن تضع قميصا ناعما « ملابس كريمة » وكان أخوة الروح الحرة أحيانا يلبسون في الواقع ما يلبسه النبلاء . وفي العصور الوسطى عندما كان اللباس عادة دليلا يعتمد عليه كمؤشر على المنزلة الاجتماعية ، كان طبيعيا أن مثل هذا المسلك

يسبب الحيرة والاستياء ، واشتكى أحد رجال الاكليروس قائلًا :
« ليس لهم لباس موحد ، فأحيانًا يلبسون وفق أحدث الأزياء المكلفة
والفاخرة ، وأحيانًا أكثر الملابس بؤسا ، وكل ذلك حسب الزمان
والمكان . ويعتقدون أنهم معصومون ، وهم يظنون أيضًا أنه بالنسبة
لهم كل نوع من اللباس مسموح ، ويتبني الملابس الكريمة بدلًا من
أسمال المتسولين ، رمز المهرطق (ص ١٧٩) الى تحوله من أدنى
المراتب الفاذية « الى عضو في الصفوة التي تعتقد انها مخولة
بالسيطرة على العالم ».

إذ انه يجب ان لا يظن ان اتباع الروح الحرة كانوا يعيشون في
حالة من العزلة الكاملة أو التأمل ، لقد كانوا يتجولون في العالم
ويتعاملون مع الناس الآخرين ، وكان هذا التعامل من نوع
غريب ، لأن القدرة على أن يصبح المرء ربا كانت تؤدي الى رفض
كل العلاقات الاجتماعية ولم يكن المذهب الاجتماعي للروح الحرة
مفهوما تماما ، مع أن النصوص التي تصورها موجودة ومدفوق
عليها ، فهناك وصف كتب في منتصف القرن الرابع عشر ، ويحتمل
أنه كان مبنيًا على الملاحظة المباشرة لواحدة من البيغويين ، كانت
تقرأ كتاب عقيدتها أمام البغرد المهرطق الذي كان يقوم بدور الموجه
الروحي لها :

«عندما يبلغ الرجل حقا المعرفة العظمى والعالية ، فإنه لا يعود
مقيدا بالالتزام بأي قانون أو بأي أمر ، لأنه قد توحد مع الله ، ولقد
خلق الله كل الأشياء لخدمة مثل هذا الشخص ، وكل ما خلقه
الله ، على الاطلاق هو ملك لمثل هذا الرجل انه سوف يأخذ من
كل المخلوقات بقدر ما تتطلب طبيعته و ترغب ، ولن يكون له
وسواس أو ريبة تحرك ضميره بشأنها . لأن الأشياء المخلوقة ملك
له ... والانسان الذي تخدمه كل السماء على الناس والمخلوقات حقا
ان تلتزم بخدمته وطاعته ، وإذا احد لم يطعه يكون بذلك مذنبًا» وتؤكد
أدبيات الهرطقة الباقية كل هذا ، وتقول رسالة الناسك حول
« الرجل الكامل الذي هو اله واندسان ، إن كل شي موجود ملك له »

ويضع سويستر كاتري المذهب الاجتماعي للروح الحرة في مقابل خلفيته الافلاطونية المحدثة ، ويسير الجدل ، إن كل شيء يستعمل غيره ، الغزال يستعمل العشب ، والسماء الماء ، والطير الهواء ، و عليه إن الشخص الذي أصبح ربا يجب أن يستخدم كل الأشياء لأنه بذلك يدفع بكل الأشياء الى أصلها الأول ، والنصيحة التي تلقىها الأخت كاترين على الفور بعد تأليها تفهم بالتعابير نفسها :

« انك ستأمرين كل الأشياء المخلوقة بخدمتك ، وفق مشيئتك ، لأن المجد للرب ... انك ستحملين كل شيء الى الرب . واذا اردت استخدام كل الكائنات المخلوقة فإن لك الحق في ذلك ، لأن كل مخلوق تستخدمينه تدفعينه الى أصله »

وكما في الأيام الأولى من الحركة ما برح التعبير عن هذا الموقف شيقا فاسقا ملونا بالصوفية ، ونقلا عن احد الأتباع : تماما كما أن الماشية مخلوقة لاستعمال الكائنات البشرية ، كذلك النساء مخلوقات لاستعمال أخوة الروح الحرة ، وفي الواقع إنه يمثل هذه الالفة الحميمة والعلاقة غير الشرعية أصبحت المرآة أكثر عفه من قبل! ، وهكذا إنها إذا كانت قد فقدت عذريتها من قبل إنها تستعيدها الآن ، ومن المهرطقين السوابيين في القرن الثالث عشر الى الرانترز في القرن السابع عشر جرى التعبير عن الفكرة نفسها مرات ومرات : فمن أجل « البراعة في الروح » إن الاتصال الجنسي (ص ١٨٠) لا يمكن تحت أي ظرف أن يكون مدعاة للخطيئة وكان يعتقد أن إحدى العلاقات المؤكدة « للروح البارعة » هي بالضبط القدرة على الانغماس في الفسق ، دون الخوف من الرب أو وخز الضمير ، وكان بعض الأتباع يذنون شيئا من القيمة الصوفية الظاهرية الفائقة السمو للعمل الجنسي نفسه ، عندما يؤدي من قبل أمثالهم . وقد أطلقت طليعة أهل الفكر على هذا العمل « متعة الفردوس - ووله » وهو اصطلاح يستعمل لتوكيد النشوة الصوفية ، وكانت أخوة الدم التورنجية في ١٥٥٠ تعتبره مقدسا

وتدعوه «تمسيح» ولدى الجميع على السواء كان للزنا قيمة رمزية كتأكيد للانعتاق ، وكما عبر عنه رانترس كلاركسون « حتى تقوم بما يدعى إثمًا ، إنك لم تتحرر من سلطة الخطيئة»

وفي هذا الإطار تصبح ديانة آدم التي كثيرا ما وجدت بين أتباع الروح الحرة مفهومه تماما ، ويحتمل امكانية استبعاد المرء لاداء المؤرخين أن هذه الديانة كانت لاتشمل الطقوس الجنسية المشتركة فمئذ أيام الكنيسة الأولى وما بعدها كانت مثل هذه القصص تروى بهدف تشويه سمعة مجموعات الأقلية ، وليس في الوثائق الموجودة ما يوحي أنها حتى عندما تحكي عن أتباع الروح الحرة هي روايات مسوغة ، ومن جانب آخر كان الاتباع أحيانا يمارسون عريا طقوسيا ، تماما كما كانوا أحيانا ينغمسون في الفسق الجنسي ، ولا شك أنهم في كلتا الحالتين كانوا يؤكدون - كما عبر عن الأمر أحد المحققين - العودة الى حالة البراءة التي كانت موجودة قبل السقوط وقد رأى المعلق الذكي والدقيق الملاحظ كارلبيردى جيرسون العلاقة واضحة تماما ، وقد لاحظ أن «التورلوبان» كثيرا ما كانوا يرون عراة معا ، قائلين إن المرء يجب أن لا يخجل من كل شيء طبيعي واعتبروا عري المرء بلا خجل مثل آدم وحواء جزءا أساسيا من حالة الكمال على الأرض ، وكانوا يطلقون على ذلك حالة البراءة ، ومثل هذا ادعى زعماء طليعة أهل الفكر أنه كان لديهم طريقة خاصة للقيام بالعمل الجنسي كانت هي المتبعة من قبل آدم وحواء في جنة عدن ، وقد جعل الرجل نفسه من ذاته منفذا مهمة تدشين العصر الثالث والأخير ، ولم يكن التابع الوحيد الذي يدمج هذه التخييلات الأصلية اليانسية ، وفي ١٣٨١ أعلن تابع في ايخستات نفسه آدم الثاني ، الذي بحلوله محل المسيح كان يقيم العصر الثالث والأخير في صورة جنة أرضية تدوم حتى ترفع بكيانها الى السماء ، أما الأحرار الروحيون الذين شجبهم كالفن فقد أعلنوا أنهم وجدوا طريق العودة الى الحالة التي استمتع بها آدم قبل أن ينوق معرفة الخير والشر ، وأنهم أيضا يعيشون في الأيام الأخيرة التي فيها تستبدل الشريعة المسيحية بشريعة جديدة أسبى ، وفي

الواقع يمكن للمرء (ص ١٨١) بالفعل أن يتعرف من هذه الهرطقة المتعلقة بالعصور الوسطى على هذا المزيج من الألفية والبدائية التي أصبحت واحدة من الصور الشائعة للرومانتيكية الحديثة ، وفي ديانة آدم أعيد خلق الفردوس المفقود وفي الوقت نفسه تؤكد حلول الألفية ، والبراءة الابتدائية والمباركة قد أعيدت للعالم بوساطة الأرباب الأحياء الذين بلغت فيهم الخليقة كمالها وتسامت في الشعور .

فإذا كان لنعيم الجنة الجديدة أن يصبح متعة كاملة للاتباع فقط ، فإن فئات ما أخرى كان يمكنها أن تنوقه على الأقل ، ووجد دون الاتباع من «الأرباب الأحياء» طبقة غفيرة من الرجال والنساء الذين لقنوا تماما تعاليم الروح الحرة ، وكان هؤلاء الناس أنفسهم صوفية ولكنهم لم يكونوا قد مروا خلال التجربة الحاسمة التي تحول الكائن البشري الى رب ، انهم بدلا من ذلك كانوا يتمتعون بتفوق بديل على البشر من خلال علاقتهم الخاصة مع التابع ، وكانت ماهية هذه العلاقة واضحة بدرجة كافية ، وبعد أن يصبح ربا يبدأ التابع الجديد في التماس الصلة مع الأرواح التقية التي تنشد الكمال ، ومن هؤلاء كان ينتزع قسما بالطاعة العمياء كان يؤدي أثناء الركوع ، وكان هذا القسم يعبر ناسخا لكل نذر سالف بما في ذلك عهود الزواج ، وعن مثل هؤلاء الرجال قال كالالبيردى جيرسون إنهم قدموا وعدا بالطاعة المطلقة الى كائن بشري ، وتلقوا في مقابل ذلك تأكيد بأنهم لن يرتكبوا إثما ، انهم كانوا الناس الذين شكلوا وكونوا جمهور حركة الروح الحرة . -

والعلاقة التي وجدت بين التابع والحواري مصورة بشكل مثير في اعتراف الراهب المرتد مارتن أوف مينز الذي حوكم في كولون في ١٣٩٣ ، وأحرق كمهرطق غير تائب وكان هذا الرجل ، الذي نشر هرطقة الروح الحرة في وادي الراين ، كان حواريا للمهرطق المشهور نيكولاس أوف بازل الذي ادعى أنه مسيح جديد ، وفي رأي مارتن كان هناك طريق واحد للخلاص يمر عبر أداء الخضوع المطلق

لمعلم ، وكان هذا الاداء تجربة مريعة ، ولكت ما ان تتم فانها تجلب مزايا هائلة لان نيكولاس كان المنبع الحقيقي الوحيد للمعرفة والسلطة ، وكان بإمكانه تفسير الأناجيل حيث أنه حتى الحواريين لم يكونوا قادرين على تفسيرها ، وإذا رغب أحد معلمي اللاهوت في التقدم الروحي عليه أن يضع الأناجيل في جانب ويقوم بأداء فروض الخضوع ، ونيكولاس وحده هو الذي يملك حق ترسيم الكاهن وبقرار منه كان يفتقر الى هذا التصديق ، فانه كان عاجزا عن القيام بعمل صالح ، ولكن فوق كل شيء ، إذا اتبع المرء أوامر نيكولاس فانه لا يأثم (ص ١٨٢) ويمكن للمرء أن يرتكب الزنا أو القتل دون تأنيب إذا أمر به ، و الأثم الوحيد هو عصيانه أو التذكر له ، وفي لحظة أداء الخضوع له يدخل المرء في حالة البراءة الابتدائية .

وبين الجماعة المغلقة للروح الحرة وجمهور البشرية غير المتمتعة بالخلاص هناك خليج لا يمكن قياسه ولا عبوره ، وبالنسبة للعناصر العادية الفانية إن التابع لا « يقيم لهم اعتبار يزيد على قيمة حصان » ، وفي عيونهم وجد الجنس البشري بشكل عام فقط ليستغل من قبلهم « الانتخاب الجارح للمشاعر » ومن هنا كانت عدم الامانة السعيدة التي نكرت قرنا بعد قرن على أنها من الخصائص الغربية لأولئك الذين هم فوق الطوائف الأخرى ، وما برح كالفن يلاحظ أن إحدى المواد الرئيسية في عقيدتهم : يجب أن يقوم التابع بأي دور يكسبه أكبر نفوذ ، وليس هناك شك أن هؤلاء الناس قد طوروا مهارة استثنائية في الكذب والادعاء ذشروها ليس فقط لحماية أنفسهم من أعدائهم الاكليروس بل لبيعوا الدفء في طريقهم في رضا الأرواح البسيطة.

وانه لغريب بدرجة كافية ان الاعتقاد نفسه بتفوقهم غير المحدود هو في المقام الأول الذي حول اتباع الروح الحرة الى حملة لمذهب اجتماعي ثوري ، وبحلول القرن الرابع عشر قرر بعضهم على الأقل ان حالة البراءة لم تتمكن من أخذ اسمه مميزة من مؤسسة الملكية

الخاصة وفي ١٣١٧ أوضح اسقف ستراسبورغ : « انهم يعتقدون ان كل شيء مشترك ، لذلك فانهم يستخلصون ان السرقة مشروعة بالنسبة لهم » . وكان طبيعيا تماما في الواقع بالنسبة للتابع ان يعتبر كل شيء ، ملكا له . وقد توضحت هذه النقطة بدرجة كافية من قبل جوهان هارتمان ، وهو تابع قبض عليه في ايرفورت في الوقت نفسه الذي قبض فيه على اللطام المسائحي كونراد شميد بقوله : « ان الرجل الحر حقا هو ملك كل المخلوقات وسيدها جميعا ، وكل شيء ملك له ، وله الحق في استعمال كل ما يسره ، واذا حاول احد منعه . فان الرجل الحر قد يقتله وياخذ موجوداته » وكان اجون برون وهو تابع كان يعيش في بيت الفقر الطوعي في كولون حتى اكثر وضوحا . لقد قال : كان الرب « حرا » وعليه فقد خلق كل الاشياء « بشكل مشاع » ، وفي الممارسة كان هذا يعني ان كل الاشياء وجدت لتقتسم بين اصحاب « الروح الحرة » واوضح انه اذا امتلك اي شخص وفرة من الغذاء ، فذلك يوفر حتى يمكن ان يسعف احتياجات اخوة الروح الحرة ، وكان تابع الروح الحرة حرا في ان ياكل في حانة او فندق ثم يمتنع عن الدفع ، فاذا طالبه صاحب الحانة او الفندق بالمال يجب ان يضرب لان الطعام الذي يقدم مجانا لاحد التابعين كان « يتحول الى الخلود » ، وكانت هذه الفكرة شائعة بين اخوة الروح الحرة ، وما قيل عن الطعام قيل ايضا عن المال . وكل ما ينفقه تابع الروح الحرة « يتحول الى الخلود » ، او الى « الدرجة الاسمي للفقر » ونقلا عن جون بروئن ، اذا وجد تابع مالا على الطريق ، فان هذا يكون علامة على (ص ١٨٣) ان الرب يريد ان ينفعه مع اخوته ، وكان عليه بناء على ذلك ان يحفظه لهذا الغرض ، حتى لو طالب به صاحبه وحاول استرداده بالعنف . واذا قتل صاحب المال او حتى التابع نفسه في الصراع فان هذا لا يهم ، لان روحا قد عادت إلى اهلها .

ولكن اذا سلمت النقود يكون التابع قد تراجع من « الابدية الى الدنيوية المؤقتة الزائلة » ، واذا ساعد تابع مريضا كعمل خيري ، يجب ان يطلب الصدقة ، فاذا رفضت يكون حرا في اخذ المال بالقوة ،

ولاحاجة للحيرة حتى اذا مات الرجل من الجوع نتيجة لذلك وكان الغش والسرقة والسطو بالعنف كلها اعمال مسوغة ، وقد اقر جون انه ارتكبها جميعا وقال إنها كانت طبيعية بين نحو مائتين من البيغرد من معارفه ، وهناك ادلة على ان هذه كانت في الواقع ممارسات عادية بين اخوة الروح الحرة ، وكان من اقوالهم : « كل ما تراه العين وتشمتهيه فلتأخذه اليد »

ودام هذا الموقف حتى القرنين السادس عشر والسابع عشر ووصف كالفن الاحرار الروحانيين بأنهم يعتقدون ان احدا يجب ان لا يملك شيئا لنفسه ولكن لكل امرئ ان ياخذ كل ما يمكنه ان يضع يديه عليه ، واذا كان هذا كله مجرد تسويغ للسرقة إنه قليل الاهمية ، لان اللصوص المحترفين لاجابة عندهم لذهب ، والناس الاخرين لن يتاثروا او ينفعلوا ، ولكن ما اراد اتباع الروح الحرة قوله في الواقع حول الملكية الخاصة كان ذا مضامين اكثر اتساعا : « اعطوا اعطوا اعطوا ، تخلوا عن بيوتكم وجيادكم وارضايكم وبضائعكم ، تخلوا ، ولا تعتبروا ان شيئا يخصكم ، ليكن كل شيء مشاعا . كانت هذه صيحة رانتر ابييذر كوب تردد اصداء صيحة جون برون قبل ذلك بثلاثة قرون : « إن كل الاشياء التي خلقها الله مشاع » واصبحت القوة الكاملة لهذه العبارات ظاهرة عندما ادرك على انها استمرار لتقاليد خاصة من النقد الاجتماعي لم تكن متطرفة جدا فقط ولكن كما سنرى ، كانت بالفعل قديمة جدا

وكتب العرض المقدم اعلاه حول تاليه الذات والفوضوية الصوفية لاتباع الروح الحرة قبل عدة سنوات من نشر نص مرغريت بوريت « مرآة الارواح البسيطة » من قبل الاستاذ غاريزير ، حيث ان هذا هو النص الوحيد الكامل الذي كتبه تسابع من العصور الوسطى وعرف انه نجا ، ويقتضي بعض الاهتمام به ، حتى مع المخاطرة ببعض التكرار .

ومن الواضح ان الكتاب عمل خاص ، كما تقول المؤلفة نفسها ،

ولهجته لاترمني الى ان تكون مفهومة من قبل العناصر الفانزية البسيطة التي تعيش وفق ما يمليه العقل ، ولقد كتب ليكون برنامج تعليمات ، يجب ان تتلى بصوت مرتفع على مجموعات ممن سيصبحون اتباعا للروح الحرة ، وموضوعة (ص ١٨٤) هو صعود الروح نحو الحرية الكاملة .

وتتقدم الروح عبر سبع مراحل : الثلاثة الاولى منها مكرسة لذكران الذات والطاعة من قبل الزاهد ، والذي بعده في المرحلة الرابعة ، تبلغ الروح حالة من النشوة التي اعميت بوساطة ضوء الحب المشع ، ولكن مع ان الروح قد تعتقد انها قد بلغت بالفعل مرحلة الاتحاد مع الرب ، فانها تكون ماتزال في البداية فقط من مرحلة الصعود ، وفي المرحلة الخامسة تعرف اسمها ، والخليج الهائل الذي مايزال يفصلها عن الخير الكامل وهو الرب ، وعند هذه النقطة يغمرها الرب في فيض شامل من الحب والنور يتغلغل الى داخل نفسه ، حتى ان ارادة النفس تتوحد مع الارادة الالهية .

وحتى الآن ، لا شي يميز هذا الصعود عن ذلك المعروف لدى الصوفية الاصوليين . ولكن في المرحلة السادسة يبدأ الافتراق : ان الروح تتقدم في الالهية وعند هذه النقطة لا شيء يبقى بعد سوى الرب فالروح لا ترى إلا نفسها التي هي الرب ، في حين ان الرب يرى عظمته الالهية في هذه النفس وهذا التماثل الكامل بين الروح والرب يقع تماما خارج تجربة الصوفية لدى الكاثوليك ، وهكذا تفعل المرحلة السابعة والاخيرة من الصعود ، حيث تبتهج الروح بشكل دائم ، وهي ماتزال على هذه الارض في البهاء والبركة التي تحفظها الديانة الاصولية للفردوس .

وهذا التأليه للنفس ممكن لأن الروح موجودة في الرب منذ الأزل. إن الروح والرب واحد ، مثل اللهب والنار شيء واحد ، إنها تأتي من الرب وتعود الى الرب كقطرة ماء تأتي من البحر ثم تعود اليه ، وفي الواقع إن الرب هو كل شيء كائن ، لذلك بالعدمية في الله

تعود الروح الى التوحيد مع الكائن الأصلي .إنها أيضا توحدت في الحالة الابتدائية للبراءة التي تمتع بها آدم قبل سقطته ، وبذلك تحررت من نتائج الخطيئة الأصلية وأصبحت بلا خطيئة ، وعلاوة على ذلك أصبحت غير قادرة على الأثم . وليس لهذه الروح مشيئة سوى مشيئة الرب التي جعلها تريد ما يجب أن تريده ، وهذا بدوره يعني أنها حرة تفعل ما يسرها وبناء عليه لا يفعل الاتباع الا ما يسرهم ، إذ أنهم إذا لم يفعلوا يحرمون أنفسهم من السلام والحرية والذبل ، لأن الروح لاتصح حتى تفعل ما يسرها ، وهي لا تلام على تمتعها ، وحيث أن الحب ، أعني الرب قد أقام في النفس فانه يتولى كل شيء وكل الأفعال ، لهذا لا تعاني الروح قلقا أو ندما . وإيا كانت الأفعال الخارجية هي أعمال الرب ، تعمل في الروح .

وبارتفاعها الى ما وراء حدود البشرية تمر الروح في حالة من اللامبالاة الشاملة ، لا تبالي فيها بشيء ، لا بالكائنات البشرية الأخرى ، ولا حتى بالرب ، وهي حتى لا تعني بخلاص نفسها : ومثل هذه الأرواح لا يمكن أن تسمى نفسها خيرة أو شريرة (ص ١٨٥) ، فهي لا تعني نفسها وهي لا تستطيع أن تحكم إذا ما كانت مؤمنة أو ضالعة، واهتمام المرء بمثل هذه الأمور هو عودة الى الإرادة الذاتية وضياع للحرية .

وحيث أن الخلاص قد أصبح أمرا لا يستحق المبالاة ، والمساعدات على الخلاص التي قدمها أو أوصى بها المسيح أصبحت أيضا أمرا لا يستحق المبالاة ، ولم يعد للقربان المقدس ولا للوعظ ولا للزهد ولا للتأمل أي قيمة ، وشفاعة العذراء والقديسين أصبحت بلا معنى ، وفي الواقع إن الروح المؤهلة لا حاجة لها حتى الى الرب نفسه ، وما أن يتم الوصول الى السكون المطلق للوحدة الالهية ، لا المعرفة ولا الحمد ولا حتى محبة الله تبقى موجودة . وعند أعلى نقطة في الكيان يهجر الرب نفسه بنفسه في نفسه ، بمعنى أن رب المسيحية قد تم التخلي عنه لصالح رب الذنوة في وحدة الوجود .

ونحو الأمور الأرضية أيضا ، تشعر الروح المؤلّهة فقط باللامبالاة العميقة ، ولا تشعر هذه الروح بأي ألم بسبب أي خطيئة قد ارتكبتها قط ، ولا من أجل ما عاناه الرب من أجل هذه الروح ، ولا من أجل الخطيئة والألم اللذان يرزح تحتهما جيرانها وأفكار مثل هذه الأرواح إلهية الى درجة أنها لا تقلق نفسها بالأشياء التي خلقت ، وفي الوقت نفسه إن هذه الأرواح حرة في استعمال كل الأشياء المخلوقة لأغراضها الخاصة : لماذا ينبغي أن تشعر مثل هذه الأرواح بتأنيب حول أخذها لما تريد ، عندما تدعو الحاجة اليه؟ إن هذا يكون نقصا في البراءة واعاقبة لذلك السلام الذي تستريح فيه الروح من كل الأشياء... ومثل هذه الأرواح تستعمل كل الأشياء التي صنعت وخلقنا ، والتي تتطلبها براحة فكرية كما يستعملون الأرض التي يسبغون عليها .

وعلى هذا يؤكد كتاب مرغريت بوريت تماما فكرتنا عن الروح الحرة وهو تفسير بني خطوة بخطوة على أنواع من المصادر المعيبة ويعرض على أنه صحيح الجوهر ، وكما أكدت مرغريت تكرارا ، أنها كانت تخاطب الصوفية فقط ، أولئك الذين تدعوهم «الكنيسة العظمى» ، تمييزا لهم عن «الكنيسة الصغرى» وهي الكنيسة المؤسساتية في روما ، وهي بهذه الصوفية تبشر في الواقع بمذهب تأليه الذات والفوضوية الصوفية.

وفي نقطتين فقط تختلف تعاليم مرغريت عن تلك التي تنسب - لنقل - الى جوهان هارتمان ، أو جون برون ، أو الأحرار الروحانيين لكالفن. ومرغريت لم تقترح في أي مكان ، أن الروح المؤلّهة - أو كما يمكن أن نقول أن تابع الروح الحرة - ينغمس أو يجب أن ينغمس فيما كان يعتبر عادة خطيئة مثل السرقة والفسق الجذسي ، وباستثناء التلميح هي لم تقل شيئا (ص ١٨٦) أيضا حول الموجودات ، وليس هناك ما يدهش في ذلك فإذا تفحص المرء مادة رانتر في ملحق الكتاب الراهن يجد أنه بينما يشترك كل هؤلاء الكتاب في المذهب الصوفي نفسه إنهم يختلفون في النتائج العملية التي

- ١٦٥٤ -

يستخرجونها منه ، ويستظهر الفصول التالية على أي حال أي ثورية
وفوضوية كانت منضوية تحت بعض نواحي الروح الحرة.